

مدينة نيمانس ومقاومتها البطولية ضد الاحتلال الروماني 143-133 ق.م  
The city of Niemans and its heroic resistance against the Roman  
occupation 143-133 BC

د. سايح مرزوق أحمد\*

المركز الجامعي تيبازة - الجزائر

[Saiah.ahmed@cu-tipaza.dz](mailto:Saiah.ahmed@cu-tipaza.dz)

تاريخ الاستلام: 2022/02/28 تاريخ القبول: 2023/01/11

### الملخص:

تقع مدينة نيمانس بإسبانيا في منطقة من الهضاب العارية مرتفعة بحوالي 100 مترا على مستوى سطح البحر، وهي من المدن العريقة خلال فترة القديمة نظرا لأنها كتبت اسمها بأحرف من ذهب، وذلك يعود إلى مقاومتها البطولية للاحتلال الروماني بين 143-133 ق.م، رغم محاولات العديد من القادة الرومان تحطيمها على غرار بومبيوس، ماركوس بوبليوس، كايوس اوستيلوس وغيرهم كثير، أمام عدد قليل من النيماتيين الذي لا يتجاوز العشرة الاف نسمة، إلا ان إصرارهم على كسر شوكة الرومان كانت أقوى لولا الحصار المخزي الذي فرضه القنصل سكيبيون الإفريقي الثاني وبسبب المجاعة والأمراض سقطت المدينة في أيدي الرومان عام 133 ق.م بعد سلسلة الهزائم التي منيت بها الجيوش الرومانية.

الكلمات المفتاحية: حنبعل، قرطاج، روما، تيتوس ليفيوس، هدروماتوم، كاناي، اسبانيا.

### Abstract:

Through many years ago, many figures and leaders were appeared in the African continent, they had a great impact on both continental and universal events, they took a part in glories and victories in various fields. One of those figures, we mention the Carthaginian leader Hannibal Barca.

Hannibal is widely considered to be one of the greatest history figures during the old era who effected on the events from the end of the third century to the bigining of the second century BC. He became on the top of the military commanders of the Carthaginian armies in Spain after his brother in low Hasdrubal in 221 BC, h estrade his plan to re-build Carthage glories, so he decided to attack Rome inside its land to bring back what Carthage loose before, he realised military and historical victories as a result he considered to be among the few leader Who changed the military tactics. Which are practiced till nowadays.

So we'll try in this paper to highlight this figure starting by intoducing Hannibal then his achievements in both military and political domains since the bigining of his leadership in 221 BC till his death in 183 BC.

**Keys Words :** Hanniba, Carthage, Rome, Titus-Livius, Hadrumatum, Canay.

## ● مقدمة:

يعتبر الاحتلال الروماني لاسبانيا من تداعيات الحرب الرومانية-القرطاجية الثانية بحيث كانت جبهة من جبهات هذه الحرب، تمكنت فيها روما من تحقيق الانتصا ضد قرطاجا وطردها منها منذ عام 206 ق.م، ليشرع الرومان في سياسة التوسع على كامل شبه الجزيرة الإيبيرية وهو الأمر الذي دفع الشعوب والقبائل الإيبيرية للدفاع عن أرضهم رافضين كل أشكال الهيمنة والسيطرة، واستمرت المقاومة حوالي قرنين من الزمن برزت فيها كل أشكال البطولة رغم بساطة الإمكانيات البشرية والمادية مقارنة بالقوة الرومانية، ولعل أهم الأمثلة عن المقاومة الاسبانية نذكر نيمانس.

لذا يتناول هذا المقال موضوع مقاومة مدينة نيمانس للرومان تلك المدينة الهادئة ذات التضاريس الوعرة والتي أعطت مثالا في المقاومة والبطولة في الفترة القديمة، والتي استمرت عشرة سنوات من النضال ضد اقوى القادة والجيوش، أرغمت في النهاية مجلس الشيوخ الروماني على الاستنجاد بمحطم قرطاجا سكيبيون الإفريقي الثاني، فمن تكون هذه المدينة؟، وما هي أطوار مقاومة نيمانس؟ وكيف تم تحطيمها؟.

## 1- وصف مدينة نيمانس:

تحتل مدينة نيمانس موقعا استراتيجيا بالرغم من أنه عبارة عن هضاب عارية وقاسية المناخ معرضة للرياح في كثير من الأوقات لأنها مرتفعة بحوالي 1100 مترا عن مستوى سطح البحر، وعليه منخها ينقسم إلى فصلين مختلفين هما الشتاء الجليدي البارد والصيف الحار نسبيا، وتحتل موقعا طبيعيا هاما عند التقاء نهر دييرو (*DUERO*) وميردانجو (*MERDANCHO*)<sup>1</sup>، وهما النهران اللذان سيلعبان دورا حاسما في مقاومة المدينة للرومان باعتبارهما جدارين طبيعيين للحماية.

حسب أبيانوس فإن مدينة نيمانس محصنة طبيعيا فالوصول إليها صعب جدا، فهي محاطة بنهرين وعدة أودية دائمة الجريان مغطاة بغابات كثيفة، ولا يوجد إلا طريق واحد مؤدي إلى المدينة أغلقت النيمانتيون بالحواجز والخنادق<sup>2</sup>، ونيمانس معروفة اليوم بقرية غاراي (*Garray*) اعتمادا على التنقيبات التي قام بها الأثري شولتن، والذي عثر على طين أحمر محروق وممزوج بالرماد والجمر وقطع من الطوب كدليل على النار التي أشعلها الرومان بالمدينة عام 133 ق.م<sup>3</sup>.

ويصف فلوريس مدينة نيمانس على أنها مدينة بسيطة لكنها رائعة، فهي قليلة الموارد لكن أهلها تميزوا بالشرف والشجاعة، لم تتوفر المدينة على أسوار ولا أبراج لكنها كانت محصنة بأربعة الاف كلت إيبيري فقط قاوموا الجيوش الرومانية وفرضوا عليه معاهدات مخزية<sup>4</sup>، وعن عدد سكان المدينة فلم يتجاوز حسب أبيانوس الثمانية الاف نسمة<sup>5</sup>، أما فالوريوس باتركيلوس فيذكر أن عدد سكان المدينة لم يتجاوز العشرة الاف نسمة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Gsell (S), La ville Ibérique de Numance, In : Journal des Savants, juillet 1931, p 292.

<sup>2</sup> Appien, Ibérique, XIII, 76, Trad. Par J.J. Combes-Dounous, éd. Imprimerie des frères Mame, Paris 1808.

<sup>3</sup> Gsell (S), op. cit, p 290.

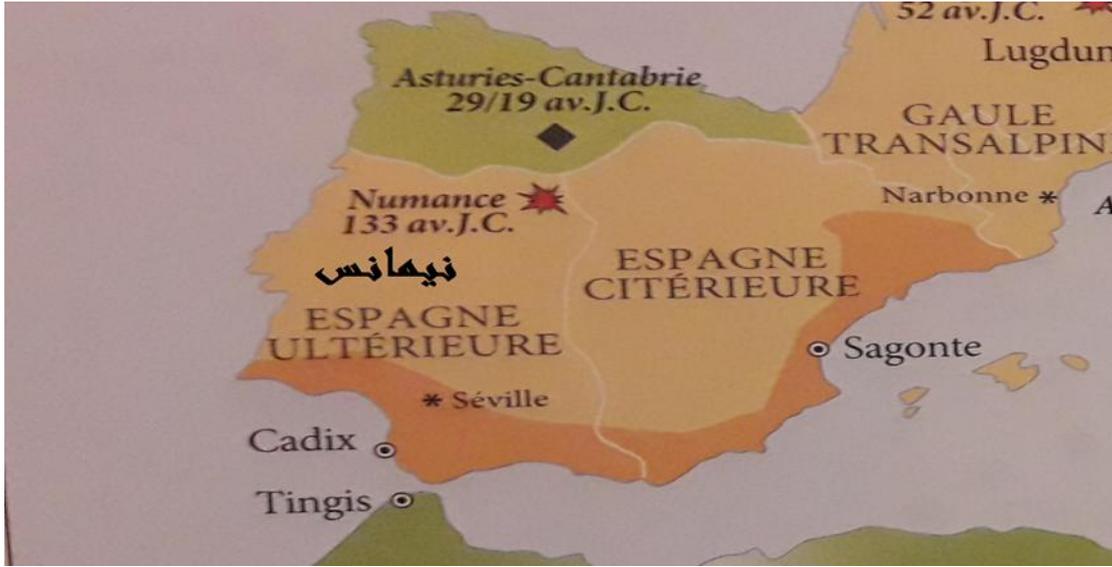
<sup>4</sup> Florus, la guerre contre Numance, II, XVIII, trad. Par Nisard (M), éd. Firmin Didot, Paris 1865.

<sup>5</sup> Appien, XIII, 76.

<sup>6</sup> Valleius Patereulus, II, I, Histoire Romaine, trad. Par Pierre Hainsselin et Henri Watelet, éd. Garnier, Paris.

وعليه فمن المرجح أن يكون العدد التقريبي لسكان مدينة نيمانس هو ثمانية الاف نسمة فقط، منهم أربعة الاف على الأكثر كانوا يحملون السلاح، لكن رغم العدد القليل إلا أنهم كانوا يتمتعون بالقوة والشجاعة منهم المشاة ومنهم الفرسان<sup>7</sup>، أما عدد المنازل التي شيدت في المدينة فقد قدرت بحوالي ألف وخمسمائة منزل داخل المدينة إضافة إلى خمسمائة منزل في ضواحيها، وهذا الرقم قدر حسب عدد السكان الذي حدد بثمانية الاف نسمة<sup>8</sup>.

### خريطة رقم 01: موقع مدينة نيمانس



المراجع: Yannick Clavé, Op. Cit., p421 (بتصرف)

### 2- مجريات مقاومة مدينة نيمانس:

اندلعت مقاومة الاسبان عامة بعد سنتين من خروج القرطاجيين من شبه الجزيرة الإيبيرية وهو ما خلق مشاكل وصعوبات للرومان، الذين حاولوا السيطرة على سكانها وثرواتها ولكن الثورات المتتالية أخرجت تقدمهم لسنوات طويلة<sup>9</sup>، فبالرغم من استسلام العديد من الشعوب بعد القضاء على ثورة فيرياتوس لم تتوقف المقاومة في شبه الجزيرة، بل تواصلت في مدينة نيمانس التي بقيت وفية لروح فيرياتوس فحاربت عدة قناصل أرسلهم مجلس الشيوخ الروماني لغرض تحطيم المدينة لكنهم فشلوا الواحد تلو الآخر<sup>10</sup>.

تواصلت الحرب الرومانية ضد نيمانس لأكثر من عشر سنوات تكبد فيها الرومان خسائر مادية وبشرية كبيرة، حيث أصبح القناصل والقادة الرومان يعملون على تفادي مواجهة النيماتيون خاصة وأن مجلس الشيوخ أطلق على هذه الحرب اسم حرب النار لتوالي المعارك دون توقف<sup>11</sup>، وعن سبب اعلان الرومان الحرب ضد نيمانس فيتمثل في استقبال سكان المدينة لأهل مدينة سيجيديا الذين هربوا من

<sup>7</sup> Paris Pierre, promenades archéologiques en Espagne – Numance, In : Bulletin Hispanique, tome 11, n° 03, 1909, p 229.

<sup>8</sup> Gsell (S), op. cit, p 293.

<sup>9</sup> Lyon (A), histoire romaine depuis la fondation de Rome jusqu'à la fin de l'empire d'occident, septieme édition, éd. Rusand, Paris 1823, pp 74,75.

<sup>10</sup> Lucien Renard, Histoire d'Espagne, éd. Furne libraire, Paris 1855, p 17.

<sup>11</sup> Don Rafael Altamira Y Creva, Histoire d'Espagne, 3° édition, éd. Librairie Armand Colin, Paris 1956, pp 16,17.

غطرسة الرومان والتي اعتبرها الرومان عصيان، فعرض الرومان السلم مقابل تسليم الفارين واستسلام النيماتيين وتسليم اسلحتهم وهي الشروط التي رفضوها وقرروا المقاومة والدفاع عن أرضهم<sup>12</sup>.

## 1-2 البدايات الأولى للمقاومة:

بدأت الحرب الرومانية ضد نيمانس باستلام القائد الروماني كانتوس بومبيوس أولوس (*Quintus Pompeius Aulus*) قيادة الجيوش الرومانية بإسبانيا عام 143 ق.م<sup>13</sup>، حيث قدر عدد هذا الجيش حسب ما ذكره أبيانوس بثلاثين ألف مشاة وألفي فارس مدربين جيدا<sup>14</sup> فشرع بومبيوس مباشرة في الحرب ضد النيماتيين يقودهم مغارافيكوس<sup>15</sup> (*Magaravicus*)، تمكن بومبيوس في البداية من تحقيق انتصار في بعض المناوشات الأولية لكن سرعان ما استدرك النيماتيون اعتمادا على استراتيجية حرب العصابات ليتحول جيش روما فريسة سهلة في عدة معارك<sup>16</sup>.

أقام بومبي محيمه غير بعيد عن المدينة المحصنة طبيعيا فلم يتمكن من الاقتراب منها فقرر تغيير مكان تخيمه فاستغل النيماتيون تحركه فهاجموا فرسانه وحققوا انتصارا ضدهم، ثم استدرجوا مشاته إلى خنادق المدينة وألحقوا بهم هزيمة كبيرة<sup>17</sup>، للتوالى هزائم جيشه ففي منطقة تيرمانس (*Termance*) القريبة من نيمانس وقعت بين الجانبين معركة أخرى انهزم فيها بومبي كذلك<sup>18</sup>، فحاول بومبي مسح هزائمه أمام نيمانس بالسير نحو بلدة صغيرة تدعى ماليا (*Malia*) بحامه للنيماتيين لكن عدد الجنود قليل فتمكن منها بومبي وأباد سكانها، كما تمكن كذلك من السيطرة على سيداتانيا (*Sidatania*) وأسر العديد من سكانها بينما انتحر البعض الآخر للهروب من جحيم العبودية الرومانية<sup>19</sup>.

والملاحظ هنا أن بومبي أخفق في تحقيق النصر أمام مدينة نيمانس وسكانها الذين قاوموا بوسائل بسيطة ضد جيش كبير وبوسائل ضخمة مدافعين عن أرضهم وممتلكاتهم، وضعف بومبي أمامهم اتضح جليا بلجؤئه إلى البحث عن انتصار أمام مدن صغيرة ومستضعفة عاث فيها فسادا ليبرر لمجلس شيوخ بلده عن هزائمه.

عاد بومبي مرة أخرى إلى نيمانس في محاولة أخيرة عن طريق تغيير مجرى النهر ومحاصرة المدينة بهدف تجويعها وإرغامها على الاستسلام<sup>20</sup>، لكن محاولاته باءت بالفشل فأرغمه النيماتيون على التراجع نحو محيمه ملحقين به هزيمة أخرى وخسر بومبي أحد ضباطه وهو أوبيوس (*Oppius*)، وبعد هذه الهزيمة جمع بومبيوس جيشه وخيم طوال الشتاء دون أي محاولة في انتظار خليفته خلال فصل الربيع وخوفا من مساءلة مجلس الشيوخ حول هزائمه الكبيرة أمام نيمانس<sup>21</sup>.

## 2-2 انتصارات نيمانس المتتالية:

<sup>12</sup> Florus, la guerre contre Numance, II, XVIII, trad. Nisard (M), éd. Firmin Didot, Paris 1865.

<sup>13</sup> Paris Pierre, op. cit, p 230.

<sup>14</sup> Appien, Ibérique, XIII, 76, trad. Par J.J. Combes-Dounous, éd. Imprimerie des Frères Mame, Paris 1808.

<sup>15</sup> Florus, II, XVIII.

<sup>16</sup> Paris Pierre, op. cit p 230.

<sup>17</sup> Appien, XIII, 76, 77.

<sup>18</sup> Paris Pierre, op. cit, p 230.

<sup>19</sup> Appien, XIII, 78.

<sup>20</sup> Paris Pierre, op. cit, p 231.

<sup>21</sup> Appien, XIII, 78, 79.

رغم انتصار النيماتيين مرارا عرضوا على الرومان عقد السلام وإنهاء الحرب إلا أن مجلس الشيوخ الروماني رفض ذلك وقرر مواصلة القتال<sup>22</sup>، بحيث أوههم في البداية بومبيوس يقبول السلم شرط التظاهر بالاستسلام ليفلت من عقاب مجلس الشيوخ، لكن مع وصول خليفته ماركوس بوبليوس لاينا (*Marcus Popilius Laena*) قام بإجهاض المعاهدة التي رفضها مجلس الشيوخ وواصل حصار المدينة<sup>23</sup>، بدأ القنصل الجديد بمحاولة للقضاء على جيران النيماتيين للقضاء على قواعدهم الخلفية وخاصة الليزونيين (*Ies Lusoniens*) لكنه فشل في تحقيق أي انتصار يذكر، ولذلك تم استبداله في القيادة بالقائد كايوس أوستيلوس مانسينوس (*Caius Hostilius Mancinus*) عام 137 ق.م لقيادة عشرون ألف جندي ضد نيمانس<sup>24</sup>، لكنه انهزم في عدة مواقع وأرغم على التراجع نحو معسكره فاستغل النيماتيونالوضع وهاجموه وحققوا انتصارا ففرضوا عليه معاهدة مخزية وفق شروط أملاها النيماتيون<sup>25</sup>.

رفض مجلس الشيوخ مجددا المعاهدة التي وقعها مانسينوس وقرر مواصلة الحرب بضخ امكانيات بشرية ومادية أكبر صوب نيمانس<sup>26</sup> وسارع إلى استدعاء مانسينوس للمحاكمة<sup>27</sup>، وفي نفس الوقت عين لخلافته في القيادة القنصل أميلوس لبيدوس (*Aemilius Lepidus*) الذي شرع فور وصوله للانتقام من حلفاء نيمانس خاصة الفاكيين بحصار وتدمير مدينتهم الرئيسية وهي بلانسيا<sup>28</sup> (*Pallantia*)، ثم شرع في فرض حصار ضد نيمانس وكان طويل الامد مما أدى إلى نفاذ المئونة فكانت النتيجة خسائر مادية وبشرية لحقت بجيشه، مما دفعه للانسحاب وفك الحصار عن المدينة وبالتالي هزيمة أخرى يتكبدها الرومان أمام إصرار النيماتيين على الانتصار<sup>29</sup>.

لم تتوقف انتصارات النيماتيين عند هذا الحد بل تواصلت حتى بعد تعيين القنصل كالبرنيوس بيزو (*Calpurnius Piso*) ونظرا لاطلاعه على أوضاع سابقه لم يتجرأ على مهاجمة نيمانس<sup>30</sup>، واكتفى بالاستيلاء على غنائم شعب البلانتيين بعد غزوها، ثم انسحب إلى كاربوني (*Carpentanie*) وفيها نصب مخيمه الشتوي دون خوض أي معركة منظرًا قدوم خليفته في القيادة وهو سكيبيون الإميلي منقذ روما<sup>31</sup>.

رغم أن روما سخرت إمكانيات بشرية ومادية هائلة وعينت على رأس جيوشها المقاتلة في اسبانيا أقوى القادة والقناصل، إلا أن إصرار النيماتيين على الدفاع عن مدينتهم أفشل كل الهجمات الرومانية بل وفرضوا على القناصل معاهدات مخزية تم نقضها عمدا من طرف مجلس الشيوخ الروماني، لتتواصل مقاومة المدينة إلى غاية عام 133 ق.م.

### 3- إبادة وتحطيم نيمانس 134-133 ق.م:

<sup>22</sup> Florus, II, XVIII.

<sup>23</sup> Appien, XIII, 79.

<sup>24</sup> Russie, histoire d'Espagne depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jour, deuxième édition, éd. Lille, Paris 1852, p 17.

<sup>25</sup> Appien, XIII, 80.

<sup>26</sup> Russie, op. cit, pp 17, 18.

<sup>27</sup> Paris Pierre, op. cit, p 231.

<sup>28</sup> Ibid, p 231.

<sup>29</sup> Appien, XIII, 80, 81.

<sup>30</sup> Paris Pierre, op. cit, p 232.

<sup>31</sup> Appien, XIII, 83.

أمام الهزائم المتوالية للقادة الرومان أمام النيمانتيين وتكبد الخسائر المادية والبشرية قرر مجلس الشيوخ وضع حد لذلك، خاصة وأن المدينة لا يتعدى سكانها العشرة الاف منهم أربعة الاف فقط مسلح فتم استدعاء محطم قرطاجة الذي رأت فيه روما منقذها الوحيد من هذا المأزق، ولي النداء فعلا ومنحت له كل الصلاحيات بهدف إبادة روما كما سيرد.

### 3-1 سكيبيون الإفريقي الثاني على رأس قيادة الجيش:

قاوم سكان مدينة نيمانس قرابة العشر سنوات وافشلوا المخططات الرومانية وانتصروا على أقوى القادة والقناصل، ونظرا للخسائر الكبيرة قرر مجلس الشيوخ استدعاء كورنيليوس سكيبيون أفريكانوس أيميليانوس (*Cornelius Scipion Africanus*) الملقب بالغفريقي الثاني محطم قرطاجة عام 146 ق.م<sup>32</sup>، حيث اعتبر المنقذ لروما والوحيد الذي بإمكانه تحطيم نيمانس بالنظر إلى خبرته في حصار المدن<sup>33</sup>، وتم تعيينه في رتبة قنصل للمرة الثانية رغم أنه لم يبلغ بعد السن القانوني لتولي هذه المهمة<sup>34</sup>، كما أن مجلس الشيوخ خرق القانون بتعيينه في هذا المنصب خاصة وأن القانون يقر بوجوب انقضاء اثني عشرة سنة عن التعيين الأول لكن سكيبيون لم يستوفي كذلك هذا الشرط<sup>35</sup>.

كلف سكيبيون بعد تعيينه على رأس الجيش باستئناف الحصار ضد نيمانس فانتهج تكتيكا عسكريا جديدا مغيرا الخطط التي اتبعها من سبقه في الحصار<sup>36</sup>، وبدأ مهمته عام 134 ق.م للقضاء على المدينة التي أضحت تقلق مجلس الشيوخ وتهدد الوجود الروماني بشبه الجزيرة<sup>37</sup>، ووضع تحت تصرفه جيشا كبيرا قوامه ستون ألف رجل مدعما بأقوى القادة المحليين والأجانب على رأسهم ماريوس الغراكي ويوغرطة من نوميديا<sup>38</sup>.

يعتبر فلوريس في كتابه أن سكيبيون هو المتخصص الوحيد في تدمير المدن لكن رغم ذلك لم يجرؤ على مهاجمة نيمانس مباشرة، لكنه بدأ بتنظيم جيشه داخل المعسكر وأحدث فيه ثورة تغيير جذرية<sup>39</sup> بسبب الفوضى وقلة وانعدام الانضباط وقلة التواصل بين الضباط والجنود، فضلا على انسياق الجيش وراء حياة الترف التي أفقدته روح القتال لذا انصب جل اهتمامه لإعادة الانضباط<sup>40</sup>.

وأول ما قام به سكيبيون عند وصوله إلى معسكر الجيش هو تنظيفه من الدخلاء خاصة التجار، البغايا، رجال الدين والكهنة، كما أعطى أوامر لضباطه بوقف إدخال أي شيء إلى المخيم باستثناء ما هو ضروري للجنود ما عدا الأسلحة، وفرض على كل جندي بالتخلي عن كل مستلزماته ما عدا وعاء برونزي وكأس فقط ليقصر طعامهم اليومي على اللحوم المسلوقة والمشوية والنوم على القش<sup>41</sup>، ليشرع بعد ذلك في إعادة تدريب جيشه وفق خطته وتكتيكاته الحربية تحضيرا لفرض حصار طويل، فبلغ به الحد إلى تجريد جنوده من

<sup>32</sup> M de Boissi, histoire des invasions et des expéditions militaires en Espagne depuis les phéniciens jusqu'à nos jours, éd. Ponthieu, Paris 1823, p 101.

<sup>33</sup> Don Rafael Altamira Y Creva, op. cit, p 22.

<sup>34</sup> Maurice Legendre, histoire d'Espagne, éd. Hachette, p 37.

<sup>35</sup> M de Boissi, op. cit, p 101.

<sup>36</sup> Russie, op. cit, p 18.

<sup>37</sup> De la Ville de Mirmont (H), Cicéron et les Espagnols, In : Bulletin Hispanique, tome 7, N° 01, 1905, p 26.

<sup>38</sup> Mousset (A), histoire d'Espagne, éd. Société d'éditions Francaises et Internationales, Paris 1947, p 31.

<sup>39</sup> Florus, II, XVIII.

<sup>40</sup> Lyon (A), op. cit, p 75.

<sup>41</sup> Appien, XIV, 85.

السلاح وتكليفهم بالأعمال الشاقة بهدف تعويدهم على التحمل في كل الظروف المحتمل مواجهتها<sup>42</sup>، بل وأجبر جميع الجنود على السير لمسافات طويلة محملين بالأمثلة والأسلحة والمؤونة المخصصة لكل واحد والكافية لمدة خمسة عشر يوماً، وفي خلال الطريق كان يكلفهم أحياناً بحفر الخنادق ثم ردمها وبناء الحواجز والأسوار ثم تهديمها وهذا ما أعاد الانضباط وسط الجيش<sup>43</sup>.

حاول أبيانوس تصوير سكيبيون في صورة البطل والمنقذ والقائد المحنك وهو ما يمكن اعتباره ضرب من الخيال بهدف تقزيم الخصم، وإذا انتبهنا إلى عدد الجيش الذي تم وضعه تحت تصرفه وبالبحسب ما تذكره المصادر والمقدر بـ 60.000 رجل فضلاً على العدة والعتاد، وفي مقابل ذلك مدينة نيمانس المستضعفة كان عدد سكانها لا يتجاوز 8.000 نسمة نصفهم فقط يحمل سلاح، وبهذه المقارنة البسيطة نستنتج أن أربعة آلاف نيماني أقوى من الجيش الروماني وبعملية حسابية بسيطة نخرج بنتيجة وهي تخصيص روما خمسة عشر جندي ضد رجل واحد نيماني، وعليه فإن من يستحق لقب البطولة والحكمة العسكرية هم سكان نيمانس نظير مقاومتهم الطويلة للجيش التي أرسلها مجلس الشيوخ ثم جيش سكيبيون كما سيرد.

### 3-2 إبادة نيمانس:

لما أتم سكيبيون تحصيراته العسكرية الضخمة وتحقيق انتصار صغير ضد الفاكين قام بنقل معسكره ونصبه غير بعيد عن مدينة نيمانس<sup>44</sup>، دون القيام بأي هجوم ضد المدينة حيث خصص فترة زمنية يراقب فيما المدينة وسكانها ودراسة محيطها ثم باشر في حصارها حصاراً شاملاً<sup>45</sup>، دون القيام بمعركة مباشرة خوفاً من تحطم فيالقه ووصول النجدات من القبائل المجاورة كما حدث ما سبقه في القيادة<sup>46</sup>، وما زاد من عزيمته في تحطيم المدينة انضمام القائد النوميدي يوغرطة على جيشه ومعه اثني عشر فيلاً ومجموعة من أبرع الرماة والقاذفين الذين يرافقونه دوماً في القتال<sup>47</sup>.

ويؤكد سالوستيوس (*Salluste*) أن الملك النوميدي مكيبسا (*Micipsa*) أرسل ابنه المتبنى يوغرطة إلى نيمانس لنجدة الرومان، ووضع تحت قيادته عدد كبير من الفرسان والمشاة والذين نالوا إعجاب سكيبيون ونظراً لتكتيكاته أصبح يوغرطة ذو شهرة كبيرة لدى الرومان<sup>48</sup>، وهذا ما يؤكد ضعف الجيش الروماني وفقدانه لهيبته رغم العدد الهائل من الجنود الذي وضع تحت قيادة سكيبيون، وما حاجتهم لدعم النوميديين للدليل آخر على ذلك ودليل على قوة الفارس النوميدي الذي صنع الفارق في هذا الحصار وقبله في عدة معارك حاسمة.

بوصول يوغرطة وانضمامه إلى جيش سكيبيون قام هذا الأخير بتقسيم جيشه على معسكرين كلاهما قريب من نيمانس، كلف أخوه ماكسيموس (*Maximus*) بقيادة أحد المعسكرين بينما تكفل بقيادة الآخر بنفسه، إلا أن ذلك زاد من عزيمته النيمانيين على تحقيق النصر فخرجوا من أسوار المدينة وعرضوا عليه القتال إلا أن سكيبيون رفض ذلك وقرر مواصلة الحصار وتجويع السكان، فأمر جنوده بحفر

<sup>42</sup> Lucien Renard, op. cit, p 29.

<sup>43</sup> Lyon (A), op. cit, p 76.

<sup>44</sup> Appien, XIV, 87.

<sup>45</sup> Maurice Legendre, op. cit, 37.

<sup>46</sup> Paris Pierre, op. cit, p 236.

<sup>47</sup> Appien, XIV, 89.

خندقا وبناء جدارا حول المدينة ونصب على طول امتداده سبعة أبراج للحراسة والمراقبة لزيادة فاعلية الحصار<sup>49</sup>، وبعد ذلك أمر بحفر خندقا اخر لحماية الجدار الذي بناه بعرض ثمانية أقدام وارتفاعه عشرة أمتار، وبلغت المسافة بين كل برج مراقبة واخر مائة وعشرون قدما وفي كل مسافة نصب مقلاعا منجانيقا<sup>50</sup>.

وبغلق سكييون جميع منافذ المدينة لم يبق للنيماتيين سوى مخرج واحد فقط تمثل في وادي دوربوس (*Durius*)، تمكنوا بفضلهم من الحصول على المؤونة وبعض الدعم العسكري إلا أن المراقبة الشديدة للرومان مكن من اكتشاف هذا المنفذ، فقرر سكييون قطعه نهائيا عن طريق رمي طرف الوادي المؤدي نحو المدينة بالمباريس والاختشاب فأصبحت المدينة معزولة تماما عن العالم الخارجي<sup>51</sup>، وبذلك بدأت معاناة السكان من نقص في تموين وانتشار الأمراض والأوبئة ورغم الخطر تسلل خمسة جنود خارج المدينة ووصلوا إلى الأريفاكيين وهم سبب ما وصلت إليه المدينة طلبا للدعم والنجدة، لكنهم قبلوا بالرفض القاطع خوفا من عقاب سكييون خاصة وأن جيران نيمانس أصبحوا تحت نفوذه<sup>52</sup>، باستثناء مدينة لوكيا (*Lauca*) التي تبرع شبابها للدفاع عن نيمانس<sup>53</sup>، لكن شيوخ المدينة رفضوا السماح بخروج الشباب بل راسلو سكييون لتحذيره من ذلك فأدى به إلى التدخل مباشرة<sup>54</sup>، وهاجم المدينة وأرغمها على فتح أبوابها وتسليم أربعمائة من الشباب المشاركين في محاولة نجدة نيمانس، فعاقبهم بقطع اليد اليمنى كإنداز لبقية شباب المدينة والمدن المجاورة<sup>55</sup>. لتنتهي آمال سكان نيمانس بالنجاة فقررنا مواصلة الصمود رغم الحصار الصعب المفروض عليهم.

زاد سكييون من شدة الحصار بتقسيم معسكره إلى سبعة معسكرات صغرى ونصب كل منها في مختلف جهات المدينة لتشديد الرقابة على أي تحرك نيماتيني محتمل، فنصب معسكر بكاستيليجو (*Castillejo*) في الشمال، معسكر بينا ريدوندا (*Pena Redonda*) في الجنوب الشرقي، معسكر بألتو ريال (*Alto Real*) في الغرب وغيرها من المعسكرات<sup>56</sup>، وقرر النيماتيون إجراء محاولة أخيرة للتفاوض مع سكييون فأرسلوا إليه وفدا بقيادة أفاروس (*Avaros*) للاستفسار على شروط السلم في حال قبوله، فاقترح سكييون مقابل السلم تخلي النيماتيين عن أسلحتهم ووضع المدينة وسكانها تحت سيطرته المباشرة، وهي الشروط التي رفضها السكان وقرروا عدم الرضوخ للرومان واختيار الموت جوعا على تسليم مدينتهم<sup>57</sup>.

دام الحصار مدة طويلة قاربت الثمانية أشهر ذاق فيها النيماتيون كل أنواع العذاب نتيجة نقص المؤونة ونفاذها، فانتشرت الأمراض والأوبئة لكثرة الأموات التي عجز السكان عن ردمها مع الضعف البدني والمجاعة<sup>58</sup>، رغم أن هذه المدة تبقى قصيرة نظرا للامكانيات التي سخرها سكييون والعمل الضخم الذي قام به جنوده أمام مدينة مستضعفة لكنها قوية بعزيمتها وإرادتها<sup>59</sup>.

<sup>49</sup> Appien, XV.

<sup>50</sup> Paris Pierre, op. cit, p 237.

<sup>51</sup> Lucien Renard, op. cit, p 30.

<sup>52</sup> M De Boissi, op. cit, p 102.

<sup>53</sup> Simont J.F, Résumé de l'histoire d'Espagne jusqu'à nos jours, deuxième édition, éd. A. Leroux, Paris 1823, p25.

<sup>54</sup> M de Boissi, op. cit, p 102.

<sup>55</sup> Mousset, op. cit, p 32.

<sup>56</sup> Paris Pierre, op. cit, pp 238, 239.

<sup>57</sup> Appien, XV, 95.

<sup>58</sup> Maurice Legendre, op. cit, p 37.

<sup>59</sup> Paris Pierre, op. cit, p 240.

لما تأكد النيمانتيون بقرب أجل إبادة مدينتهم خرجوا من أسوار المدينة منهم من يحمل السلاح ومنهم من هو أعزل فهاجموا جيش سكيبيون لكن بدون تحقيق أي نتيجة ليعودوا أدراجهم، فاستسلم الناس للموت جوعاً بل أكثر من ذلك انتحر العديد<sup>60</sup>، وآخر من تبقى منهم فقد أشعلوا النيران في المدينة وألقوا بملكاتهم بها ثم ألقوا بأنفسهم وزوجاتهم وأولادهم<sup>61</sup>، ولما دخل سكيبيون المدينة عام 133 ق.م وجدها عبارة عن خراب ورماد ولم يترك له السكان إلا الأطلال<sup>62</sup>، ويروي لنا أبيانوس اللحظات الأخيرة لمقاومة النيمانتيين حيث يؤكد على الحالة المزرية لهم ولم ينج إلا عدد قليل من السكان بأجساد ننتة وهزيلة وأظافر طويلة، باعهم سكيبيون كعبيد واحتفظ بخمسين منهم كدليل انتصار، ليشرح في تدمير ما بقي من المدينة لمحوها من الوجود بذلك يكون قد قام بإبادتين الأولى عام 146 ق.م وهي قرطاجة والثانية عام 133 ق.م وهي نيمانس<sup>63</sup>.

بعد إتمام سكيبيون مهمة إبادة نيمانس الممنهجة أرسل مجلس الشيوخ وفداً إلى المنطقة يتكون من عشرة أعضاء لترسيم الانتصار، وقد تم كذلك توزيع الأراضي بين الرومان والأهالي الموالين لهم كما تم سن قوانين لفرض الضرائب وإلحاق المنطقة<sup>64</sup>، وبذلك تنتهي أهم فصول للمقاومة في شبه جزيرة إيبيريا والتي اندلعت عام 206 ق.م بخروج القرطاجيين لتستمر إلى غاية سقوط نيمانس عام 133 ق.م.

**4- طبيعة المقاومة في اسبانيا بعد إبادة نيمانس:**

يعتبر سقوط نيمانس وإبادتها عام 133 ق.م إيذاناً ببداية نهاية المقاومة الإسبانية ضد الاحتلال الروماني والتي استمرت طويلاً رغم عدم تكافؤ القوى بين الطرفين، وهذا ما أدى إلى ضعف بقية المدن التي بدأت في الاستسلام الواحدة تلو الأخرى ما عدا بعض المدن في شمال البلاد التي وجدت في الجبال ملاذاً وهرباً من جشع الرومان، وبذلك تكون روما قد بسطت سيطرتها على أغلب المناطق في شبه الجزيرة الأيبيرية<sup>65</sup>، واعتبرت اسبانيا بداية من عام 133 ق.م مقاطعة رومانية فعلياً مع المحافظة على التقسيم الذي أقره مجلس الشيوخ الروماني منذ عام 197 ق.م (أنظر الخريطة رقم 02)، وتم الإبقاء على هذا التقسيم معمولاً به إلى غاية حكم أكتافيوس الذي أعاد تقسيم المنطقة إلى ثلاثة مقاطعات بدأ اثنتين وهي بيتيك (*Bétique*)، طراغون (*Taragonaise*) وليزيتانيا (*Lusitania*)<sup>66</sup>.

#### خريطة تقسيم الرومان لشبه الجزيرة الأيبيرية عام 197 ق.م

<sup>60</sup> M de Boissi, op. cit, p 103.

<sup>61</sup> Simont J.F, op. cit, p 24.

<sup>62</sup> Lucien Renard, op. cit, p 30.

<sup>63</sup> Appien, XV, 97, 98.

<sup>64</sup> Gonzales Antonio, guerre diplomatique et droit de la guerre dans la Péninsule Ibérique au II<sup>e</sup> siècle av. j-c, In : Dialogue d'Histoire Ancienne, Vol. 33, N° 01, 2007, p 111.

<sup>65</sup> M.L.G, Précis de l'histoire d'Espagne depuis les temps les plus reculés jusqu'à commencement de la révolution actuel, Tome I, éd. Fanjat Ainé, Paris 1823, p 106.

<sup>66</sup> Russie, op. cit, p 18.



المرجع: Yannick Clavé, Le monde Romain VIII siècle av.-J.-C. / VI S. apr. J.-C, éd. Armond Colin, Paris, 2017, p420

توقفت المقاومة رسمياً بعد إبادة نيمانس لكن ذلك لم يمنع من عودة بعض الاضطرابات فبعد أربعين عاماً من ذلك، وأثناء نشوب الخلاف بين ماريوس وسيلا في روما أو ما يعرف بالحرب الأهلية الأولى ونتيجة لانتصار سيلا قرر أنصار ماريوس على الفرار من البلاد وأشهرهم كانتوس سرتوريوس<sup>67</sup> (Quintus Sertorius) الذي اختار اسبانيا وجهة له، وهناك استغل الوضع لإثارة الإسبان من جديد وإعادة بعث المقاومة في نفوسهم ضد الرومان لتندلع ثورة كبيرة بين عامي 76 و 71 ق.م<sup>68</sup>، وقبل وصول سرتوريوس إلى اسبانيا مر بإفريقيا وجزر البليار اللتين جمعاً من ثروة وجيشاً ليبحر به نحو اسبانيا، وفي هذه الأخيرة استقبله الليزيتانيين الذين رأوا فيه الخلاص من غطرسة الرومان رغم أنه روماني<sup>69</sup>.

جمع سرتوريوس جيشاً بلغ تعداده الإجمالي حسب سالوستيوس ستون ألفاً من المشاة وعشرة آلاف فارس، تمكن رغم العدد الكبير واختلاف أجناسهم من زرع الانضباط والتناسق بينهم، بل راح إلى أبعد من ذلك أين أنشأ أكاديمية عسكرية لتطوير هذا الجيش في مدينة أوسكا<sup>70</sup> (Osca)، ونظراً لتشكل هذا الخطر قرر مجلس الشيوخ في روما إرسال القائد العسكري كانتيوس سيسيليوس ميتيلوس (Quintus Cécilius Métellus) ومعه جيشاً كبيراً بهدف القضاء على هذا التمرد<sup>71</sup>، لكنه أخفق في مهمته وخسر أمام سرتوريوس وهو ما زاد من قلق مجلس الشيوخ في روما وعمل على البحث عن بديل لميتيلوس<sup>72</sup>.

<sup>67</sup> سرتوريوس: ولد سارتوريوس حسب بلوتارخوس في عائلة من العامة ببلدة نورسيا، فقد والده مبكراً لكنه حظي برعاية كبيرة من قبل والدته التي طالما احترمتها واسمها ريا، في بداية حياته اشتغل في المرافعة التي حقق فيها نجاحاً كبيراً واشتهر ببلاغته في روما، لكنه لم يستمر فيها طويلاً وانتقل إلى الحياة العسكرية، فالتحق بماريوس خلال الحرب الأهلية ومنها إلى اسبانيا. (Plutarque, les vies des hommes illustres (Sertorius), II, trad. Par Ricard, éd. Didier, Paris 1844.)

<sup>68</sup> Appien, XVI, 101.

<sup>69</sup> Florus, Abrégé de l'histoire romaine, III, XXIII (guerre contre Sertorius), trad. Par Nisard (M), éd. Firmin Didot, Paris 1865.

<sup>70</sup> Salluste, Fragments de la grande histoire, I, CLXIV, trad. Par Charpentier (j.p), et Félix Lemaistre, éd. Garnier, Paris 1933.

<sup>71</sup> Appien, XVI, 101.

<sup>72</sup> Appien, XVI, 101.

تحرك مجلس الشيوخ بسرعة وعين خليفة لميتيلوس في القيادة بإسبانيا وهو كنيوس بومبي (*Cneus Pompey*) الذي منح صفة قنصل<sup>73</sup>، وشرع في القتال لحظة وصوله ضد سرتوريوس لكنه فشل في تحقيق النصر وانتهت المواجهات الأولية لصالح سرتوريوس بالقرب من سيغوفيا (*Sigovie*) وعلى ضفاف نهر انا<sup>74</sup> (*Ana*)، وقد استمرت الحرب ضده لعدة أعوام وتميزت بمرحلتين فالمرحلة الأولى بين عامي 80 و 76 ق.م كان فيها النصر حليف سرتوريوس وهو ما يمكنه من إقامة دولة متكاملة مركزها مدينة أوسكا<sup>75</sup>.

وبذلك شكل سرتوريوس مجلسا يضم ثلاثمائة عضوا يشكلون السلطة العليا كما استحدث وظائف إدارية وقضائية فضلا على وكلاء المالية<sup>76</sup>، ولم يهمل الجانب الثقافي حيث أنشأ المدارس العامة لتعليم أبناء العامة الأدب اليوناني والروماني، وكان يهدف من وراء ذلك تشكيل جمهورية منافسة لروما للهيمنة على العالم القديم<sup>77</sup>.

لم تستمر الأوضاع كما خطط لها سرتوريوس لأن المرحلة الثانية الممتدة بين عامي 75 و 72 ق.م هي مرحلة التراجع واختلال الموازين وبدأت قوته في التراجع<sup>78</sup>، وانتهت هذه المرحلة باغتيال سرتوريوس على يد ضابط كان يعتبر من مقريه يدعى برينا (*Perpena*) وذلك عام 72 ق.م، في مدينة أوسكا أثناء مأدبة عشاء تنفيذًا لاتفاق عقده مع بومبي لخيانة قائده مقابل السماح له بخلافة سرتوريوس لكن بومبي قضى عليه بعد فترة قصيرة من وفاة سرتوريوس<sup>79</sup>. وقد أشاد فلوريس بمقتله حيث يؤكد أن مقتله لم يتم في ساحة المعركة لكن قتل عن طريق الخيانة من طرف مقريه.

وبمقتل سرتوريوس تنتهي هذه الحرب التي أرهقت روما لسنوات طويلة وشاقة وأرسل مجلس الشيوخ كايوس قيصر (*Caius César*) حاكما على إسبانيا، كما أسندت له مهمة استعادة الولاء وفرض السيطرة على جميع القبائل والشعوب بقوة السلاح<sup>80</sup>، فأعلن العديد من الشعوب والقبائل استسلامهم وحسب فلوريس نذكر العديد منها أوسكا، تيرمس، أوليا، بلنسية، أوكسوم وكالاجوريس، وقرر مجلس الشيوخ إعادة تقسيم شبه الجزيرة إلى ثلاث مقاطعات مع تعيين حاكما على كل منها لمدة سنة واحدة ويبدأ الاستغلال الفعلي لثرواتها<sup>81</sup>.

#### خاتمة:

مما سبق تقديمه استخلصت جملة من الاستنتاجات التي يمكن إيجازها في نقاط أولها شهرة مدينة نيماس وبقاء إشعاعها بارزا في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية رغم أنها أبيدت وتم محوها من الوجود، حيث كتب اسمها بأحرف من ذهب فتناقلت المصادر وبعدها المراجع بطولتها.

<sup>73</sup> M.L.G, op. cit, p 114.

<sup>74</sup> Florus, III, XXIII.

<sup>75</sup> Le Roux (P), la Péninsule Ibérique aux époque romaine (fin du III<sup>e</sup> siècle av. notre ère – début du VI<sup>e</sup> siècle de notre ère), éd. Armand Colin, Paris 2010, p 34.

<sup>76</sup> M.L.G, op. cit, p 109.

<sup>77</sup> M De Boissi, op. cit, p 110.

<sup>78</sup> Le Roux (P), op. cit, p 34.

<sup>79</sup> Appien, XVI, 101.

<sup>80</sup> Appien, XVI, 102.

<sup>81</sup> Florus, III, XXIII.

مدينة نيمانس مدينة بسيطة جدا ومناخها قاسي وسكانها قليلون لم يتجاوز الثمانية الاف نسمة تميز بأنه شعب مسالم، لكن رغم إمكانياتها العسكرية البسيطة تمكنت من الصمود في وجه أقوى الجيوش التي سخرها مجلس الشيوخ الروماني لتحطيمها بفضل الإرادة والعزيمة، وبينت المدينة رفضها القاطع للوجود الروماني بدفاعها عن الأراضي الاسبانية عامة وأراضي نيمانس خاصة القضاء على مدينة نيمانس لم يحصل بفضل قوة والعدد الكبير لجيش سكيبيون بل بفضل شجاعة النوميديين الذين كانوا ضمن جيشه وتحت قيادة يوغرطة.

إبادة نيمانس هي البداية لنهاية المقاومة في شبه الجزيرة ضد الاحتلال الروماني، والبداية الفعلية للاستغلال الروماني لثرواتها.